دراسات معاصرة
Contemporary Studies
مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بجامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.483/490

ثنائية المنفَى والهامش، كتابة الذّات وإحياء لتراثِ المنفيّ- رواية شبح الكليدوني- لمحمد مفلاح أنموذجا.

The binary of exile and marginality, writing of own self and revival of exile heritage - Novel of Chelidonia's Ghost for Mohamed Meflah (Model) -

بويط بشرى*
ghoulibouchra16@gmail.com
جامعة الجزائر2
مخبر الترجمة والمصطلح
(الجزائر)

حياة أم السعد
oumssadhayet@gmail.com
جامعة الجزائر2
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/11/15 تاريخ القبول: 2023/04/27 تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص:

لطالما عمل الاستعمار على طَمس معالم الهويّة والانتماء، وتقويض سلطة الآخر والحدّ من حريّته واستنزاف ثرواته وخيراته، تحت وطأة الجبروت وسلطة السلاح، منتهجا سياسات الإقصاء والإبعاد في حقّ كلّ من تسوّل له نفسه الوقوفَ في وجه مخطّطاته الاستعماريّة والتوسعيّة، فكان القَمع والنّفي الحلّ الأمثل لإرضاخ المستعمَر وإسكاته.

تشكّل ظاهرة النّفي والإبعاد واحدة من أهمّ القضايا التي عَكف الكتّاب والنقّاد والأدباء على طرحها شرحا وتحليلا، كتابة وتفسيرا، مشيرين في الآن نفسه إلى أسباب النّفي وبواعثه وكذا آثاره ونتائجه على ذات المنفي، وها هو ذا الأديب الجزائري يصوّر معاناة المنفيّ في ظلّ الاستعمار الفرنسي، متخّذا من الرّواية وسيلة للدّفاع عن معالم الهويّة الجزائريّة على الرّغم من سياسات التّحقير والتّعذيب والنّفي والتّقتيل، لينقل صوت التّابع الجزائريّ ويعبّر عن هامشيّته، مثبتا لوجوده، محيي لتراثه، حافظا لذاكرته، وها هي ذي رواية "شبح الكليدوني" تلامس شبح المنفيّ والمهمّش في ازدواجيّة بلاغيّة تتداخل فيها الأحداث بين الماضي والحاضر.

كلمات مفتاحية: المنفى – الهامش-تعدّد الأصوات-الرّواية الجزائرية.

Abstract:

The colonialism has always worked to suppress the identity and belonging, to undermine the authority of the other, to restrict its freedom and to deplete its wealth and riches, under the power of guns pursuing a policy of exclusion for anyone who thinks to stand firmly against its colonialist and expansionist plans, so the oppression and exile were the perfect solution for coercing and silencing of the colonized.

The phenomenon of exclusion is one the main issues in which the authors, critics and writers were didicated to introduce it in a manner of explanation and analysis, writing and explication, which they simultaneously point out to the reasons for exile and its motives as well as its effects and consequences on the exiled himself, and here is the Algerian writer describes the exile's suffering under the French colonialism, in which he uses the novel as a tool of defending the Algerian identity in spite of denigration, torture, exile and killings policies, where

*المؤلف المرسل.

he transmits the voice of the Algerian follower and expresses his marginality, proving his presence, reviving his heritage and maintaining his memory. And so here is the novel of "Chelidonia's Ghost", which touches the ghost of the exiled and the marginalized in the binary rhetoric In which its events are overlapped between the past and the present.
Keywords: *exile - marginality - polyphony - Algerian novel.*

توطئة:

أنتج الاستعمار منافيا أُجبر المرء على عناقها، عاجزا عن تجاوزها، فقد اقتيد المستعمَر إلى منفاه مجبرا لا مخيّرا، فكثيرا ما اعتبر النّفي أشهر وسيلة قمعيّة مارستها الإمبراطوريّات الاستعمارية في العصور القديمة، كعقاب في وجه كل من يقف في طريقها، بإبعاد الشّخص المعادي لها عنوة عن مسقط رأسه بغية إقصاءه واسكاته. والقمع بحسب ما جاء به ميشال فوكو:" ليس **مجرد منع، بل هو إقصاء واسكات وإعدام ما يجب قمعه بمجرد محاولة ظهوره، إنه يعمل وفق آلية ثلاثية من التحريم والتغييب والصّمت**".(1)

عُرف عن القويّ استغلاله للنّفوذ ومصادر قوّته، لتصويبها نحو من هو أقلّ منه حظوة ومكانة بغية إسكاته وإقصائه وتهميشه بمجرّد ظهوره، منتهجا في ذلك كلّ وسيلة قمعيّة متوفّرة، ضدّ فرد أو جماعة بهدف تقييدها أو منعها من المشاركة في الحياة السّياسيّة أو الاجتماعيّة، وقد يتجلى ذلك من خلال انتهاكات لحقوقهم بنفيهم أو سجنهم أو تعذيبهم، كلّ هذا وذاك تجرّعه الشّعب الجزائريّ في ظلّ الاستعمار الفرنسيّ، فقد كان النفي أنجع وسيلة في نظر المستعمِر يقضي بها على روح المقاومة الوطنيّة.

1. المنفى والهامش وجهان لعملة واحدة

يعرّف المنفى بأنّه:" **إبعاد عن الوطن ونبذ، ونزع للألفة والمنفى منزلة بين منزلتين زمكان مؤقت يقع بين زمكانين، أحدهما ماض صيغت ملامحه في الوطن المُبعد والآخر وشيك الحدوث في المستقبل القريب(الموت).**" (2)

يُصبح المنفى بهذا المعنى عمليّة إزاحة وطرد وابعاد وتشريد عن الوطن، ونزع للألفة وعجز عن تحقيق الانتماء، تيه في زمنين ومكانين مختلفين، يعتبر فيه المنفيون أنفسهمغير ذي صلة بالمكان الذي هم فيه، لأنهم أبعدوا قسرا عن أوطانهم، ليُلقى بهم في زمان ومكان آخر، لطالما عمل على تحقيرهم والنظر إليهم نظرة سخط واستياء.

ولأن العلاقة الاستعمارية مبنيّة في أساسها على الاستعباد والاسترقاق كان النّفي والتّهميش والاقصاء، الوسيلة الوحيدة لإخضاع المستعمَر وضمان تبعيّته،" **حركات وتجمّعات تم اقصاؤها وطمس هويّتها ولم يُسمح لها بالظّهور كذوات لها خطابها المختلف ونظرتها للكون.**"(3)

جرى العُرف بتهميش الحركات الاجتماعيّة والتّجمّعات المناهضة للاستعمار، بقتل بذرة التحرّر في نفوس قادتها، عن طريق نفيهم وطردهم إلى أقاصي الأرض، كما لم يسمح لهم بنشر خطاباتهم الدّاعية للتحرّر والقضاء على الوجود الاستعماريّ في البلدان المستعمَرة.

فكان لزاما على المثقّفين العمل على نقل أصوات المنفيين والمهمشين، وكذا كسر قيود الاستعمار وإحياء ثقافة التّخوم، وكذا إيصال صوت المنبوذين والمقهورين، من خلال تسليط الضّوء على حياة المجتمع ومضامين الواقع في ظلّ الاستعمار. فعلى حدّ قول ادوارد سعيد:" **البيت الوحيد القائم الآن في هذا العالم، رغم هشاشته وافتقاده الحصانة، هو الكتابة.**"(4)

لتصير الكتابة بهذا المعنى وسيلة كاشفة لكلّ صور المعاناة، مبلّغة لأصوات شعوب ذاقت مرارة النّفي والابعاد، تجربة جماعيّة مسّت العديد من الدّول العربية بما فيها الجزائر، فكانت الكتابة ملاذا آمنا تحيي من خلاله الشّعوب المضطهدة تراثها، كاشفة المستور عن كلّ الممارسات الاستعمارية الوحشيّة والسّياسات التعسفيّة التي تعرضت لها، بما فيها النّفي كنوع من العقاب لكل من تسوّل له نفسه الوقوف في وجه المستعمِر، لتصبح الكتابة على حدّ قول رضوى عاشور:" **إطلاق للإرادة في مواجهة نفي الإرادة**"(5) إرادة تكفي للتحرّر من كلّ قيد وضعه المستعمِر.

وبناء عليه حاول الأديب الجزائري تسليط الضوء على شخصية المنفيينوالمهمشين، وما تعرضوا له من عمليات قمع وترهيب ونفي، ليكون محمد مفلاح واحدا من الذين تناولوا موضوع النّفي كقضية مصيرية تتعلق بوجود الإنسان الجزائري وانتماءه، وعليه وقع الاختيار على رواية شبح الكليدونيّ لمحمّد مفلاح كعيّنة للدّراسة، من أجل الوقوف على تجلّيات المنفى على نفوس الجزائريين وتبعيّات ذلك من خلال تهميش البعض الآخر: **"ليرحل بالقارئ في سرديات المنفى، ليكتب التاريخ الفني للمنفى الاستعماري كما يقترب من جزائر اليوم."** (6)

2. رواية شبح الكليدونيّ تأريخ لذكريات المنفيّ وصرخة في وجه التّهميش:

من هذا المنطلق تحاول رواية "شبح الكليدوني" التّأريخ لذكريات المنفي الجزائري، وتحيي تراث وطن بأكمله لطالما عمل الاستعمار على محوه وتغييبه، في محاولة لإماطة اللثام عن فترة حسّاسة من تاريخ الجزائر، فترة تعرّض فيها الجزائريّون إلى أسوء أنواع القمع والتعذيب، بما فيها النّفي الاستعماريّ، كما تناولت العديد من القضايا الاجتماعية بما فيها الفقر والتهميش.

تنطلق الرواية من تتبع السّارد ليوميّات الشخصيّة الرّئيسية" امحمد شعبان المنفي" موظف ديوان الثّقافة، ليقف عند حجم معاناته الاجتماعية والنّفسيّة والفكريّة، ناهيك عن ملاحقته لشبح الماضي، المتجسّد في شخصيّة جدّ والده" امحمد المنفي" الملقّب بالشّيخ الكليدوني" الذي نفته السّلطات الاستعمارية كغيره من المقاومين المعارضين لها في حربها ضد الجزائريين، إلى جزيرة كاليدونيا في المحيط الهادي بالقرب من استراليا، فحرص والده الشّديد على ضرورة البحث عن قبر جدّه ليس سوى حثّ على التّنقيب والبحث عن التّاريخ المقموع، يقول **:" ازداد رغبة في معرفة تاريخ والد جده، يزوره شبح هذا المقام... والده هو من ألقى في نفسه بذرة المنفيّ، وجدّته عمّقت الجرح بحكاياتها عن هموم الماضي المعطوب."**(7)

اختار محمّد مفلاح أن يضع لروايته مسمّى "شبح الكليدونيّ"، فكلمة "شبح" في حد ذاتها تحيل إلى معنيين، معنى يحمل في طيّاته معنى المعاناة والاقصاء والتّهميش، في إشارة منه إلى الماضي المغيّب الذّي عمل الاستعمار على طمسه ومحو معالمه، أمّا المعنى الآخر هو تلك الشخصيّة التّي نُفيت إلى فرنسا وبعد تمكّنها من العودة إلى أرض الوطن خفية، لم يعرف أحد بها، كما لم يُعرف مكان دفنها ولا قبرها، عامدا في الآن نفسه إلى استخدام التراث بشتى أنواعه من أغان وأمثال وحكايات شعبية لإعادة إحياء التراث بعاداته وتقاليده، مختزلا بذلك ذاكرة شعب بأكمله.

كما اختار الروائيّ" لقب المنفيّ" كإشارة منه إلى ما تعرّض له الجزائريّ من ابعاد وتشريد وترحيل، فظلّ لقبا لا يفارقه ليذكّره مرارا وتكرارا بمرارة الابعاد والتّرحيل القسريّ عن الوطن الأمّ يقول**:" صاح المعلم ذو البدلة البنية بصوته الجهوري " المنفي، المنفي" رفع امحمد شعبان المنفي ذراعه اليمنى، المنفي؟ منذ الأيام الأولى لدخوله المدرسة الابتدائية شعر بثقل لقبه وغرابته، لقب مثير لاهتمام كل من يسمعه لأول مرة، طلب وقتذاك من والده الحاج عبد القوي أن يغير هذا اللقب الغريب، فربت هذا الأخير على كتفه الهزيلة بهدوء قائلا له." انتظر قليلا وستتعرف على أسرار هذا اللقب المجيد إنه لجدي الذي نفي إلى كاليدونيا الجديدة، وهل سمعت بهذه الجزيرة؟"** (8)

لم يكن المنفى إذا سوى سياسة استعمارية انتهجها المستعمر الغاشم ليقضي بها على كل رموز المقاومة، مشحونا في الآن نفسه بدلالات تاريخية تحيي الذاكرة الأليمة، لأمجاد الجزائر وصنّاع تاريخها، يضيف الحاج عبد القوي والد " امحمد شعبان في إطار حديثه عن الشيخ " امحمد الكليدوني":" **لقد حدثتك عن جدي الشيخ امحمد المنفي، واليوم أريد أن تطلع على رسائله التي لا تقدر بثمن، ستجد فيها معلومات هامة لا يعرفها المؤرخون و رجال الحكومة، أحب أن تعرف كل شيء عن جدي، احذر أن تضيعها، إنها كنز ثمين، تساوي كل مال الدنيا، حافظ عليها يا امحمد."(9)**

فاختيار محمد مفلاح " لقب المنفي" لبطله ليس سوى نبش في التّاريخ واحياء الماضي الذي سعى المستعمِر إلى طمسه وتشويهه. فعندما يتذكر " امحمد شعبان المنفيّ" صباه يتذكّر أمجاد الجزائر وصمودهم في وجه المستعمِر، وثورتهم المجيدة التي مسّت كلّ ربوع الوطن مؤرّخة لبطولات وتضحيات جسام، حِرص والده الشديد

على معرفة سيرة جده الشيخ " امحمد المنفي" وافتخاره بصمود هذا الأخير، وكفاحه من أجل تحرير الوطن ليس سوى إشادة بمثل هذه الأعلام التّاريخيّة، وتذكير بأمجاد مقاومتنا وما عانوه من الكلونياليّة الاستعماريّة.

لم يتوقّف البطل عن الحديث عن جده المنفيّ يقول السّارد: "**ثمّ وضع الرسائل الثّلاث على الطّاولة الخشبيّة واستلقى على السّرير، كم أنت متعبة يا حياة الغمّ يضيف ساردا قصة جده من خلال الرسائل التي أرسلها لأهله، مفككا عباراتها، ومحتواها كالآتي بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم." من العبد الضعيف امحمد بن عدة بن لزرق بن سيدي امحمد الراجي أهدي السلام التام للأقارب والشيوخ من أهلنا في بلدة العين ومنطقة الجبل الأخضر كلها وغيرهم... نحن بعون الله تعالى وقوته نعيش في بلاد الكلدون مع اخوان كثيرين عوقبوا بالنفي وهم من أولاد سيدي الشيخ، وسعيدة، ومعسكر، وازديف، وناس قسمطينة، والورسنس، أمّا عدد المنفيين بسبب ثورة سيدي الزرق بلحاج وهم من فليتة و بني وراغ، وسهل الشلف، وجبل الظهرة، فهو400 شخص وربما يفوق، ومات منهم عشرون في أشغال شق الطرق دفناهم في مقبرة المسلمين المعروفة عندنا بسيدي الطيب.**"(10)، رسائله هذه كانت بمثابة سندات تاريخيّة غفل عنه الكثيرون، متجاهلين تراث المنفي وأعمال المستعمِر الشّنيعة التي ارتكبتها في حقّ الجزائريين، صرخة داعية إلى ضرورة احياء التّراث الجزائري عامّة وتراث المنفيّ خاصّة، يضيف في ذات السّياق" **تحتوي الرّسائل الثّلاث على معلومات هامّة عن منفيي ثورة فليتة إلى المستعمرات الفرنسيّة، لماذا غيّب المؤرخون مأساة هؤلاء الثوار المنفيين إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة؟ لا نعرف حتى أسماءهم.**"(11)

عبّر "امحمد شعبان" في ثنائيّة صوتيّة عمّا يجول في خاطره وكذا آراءه المختلفة حول السّياسات الاستعماريّة القمعيّة والسّياسيّة وعلى حد قول ميخائيل باختين:" **إنّ الخطاب الثّنائي الصّوت هو دائما ذو وظيفة حوار داخليّ، هذا ما نجده في الخطابات الهزليّة والسّاحرة والباروديّة، وفي الخطاب التّكسيري للسّارد وللشّخوص، وأخيرا في خطاب الأجناس التّعبيرية المتخلّلة: فهي جميعا خطابات ثنائيّة الصّوت، ذات صيغة حواريّة داخليّة فيها جميعا بذرة حوار كامن غير منتشر، مركزا على نفسه هو حوار صوتين، ومفهومين للعالم وحوار لغتين.**"(12)

يضمن التعدّد الصّوتي التنوّع الشّكلي والأسلوبي في المتن الرّوائي، كما يسهم في معرفة مكنونات الشخصيّة، انفعالاتها وتعليقاتها الدّاخلية على سيرورة الأحداث أو على قول بعض الشّخصيّات وآرائها المختلفة، زد على ذلك الخطابات الأدبية والخطابات المتخلّلة وحتى الخطابات غير الأدبيّة وغيرها من أشكال التعدّد اللّغوي، هي ما يثري الخطاب ويمنحه أصداء لغوية خاصّة، في ظلّ تجاور الأصوات والخطابات وتصاعدها.

لم تكن شخصيّة جدّه المنفيّ، الشخصيّة الوحيدة التي تعاني النّفي في الرّواية، بل كان " امحمد شعبان" يعاني منفى من نوع آخر، "منفى الذات" **كان يفر إلى وحدته في غرفته، يعيش على هامش الآخرين، تخيل أنه يشبه هؤلاء المنفيين المقيدين ولكن في زمن آخر، زمن الربيع العربي الموحل، قهرته هواجسه الغريبة، غير أن همومه لا تساوي شيئا أمام معاناة الشيخ امحمد المنفي.**" (13)

تعيش ذات امحمد شعبان شعورا بالغربة والانشطار بدليل قوله" **حتى أنه فكّر في الانتحار.** (14) غير أن شبح جده سرعان ما منعه عن ذلك، فصَبر هذا الأخير واصراره عل المقاومة ومحاربة المستعمِر حتى وهو في المنفى جعله يعدِل عن ذلك، اقتداء بوالد جد أبيه، حريصا على تبليغ رسالاته، داعيا إلى استحضار معالم الكفاح والنضال في ظل إحياء الذكريات.

لم تكن سيرة جدّه المنفيّ هي العبء الثقيل الذي أثقل كاهله وعمّق الشرخ في هويته فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها الجزائر زمن العشرية السوداء ومخلّفاتها فيما بعد، إضافة إلى بعض الممارسات السّياسية والاجتماعية،وكذا قضيّة الرّبيع العربّي، هي ما زادت الطّين بلّة تلك القطرة التي أفاضت الكأس، فلم يعد التّهميش حكرا على المنفيّين فحسب بل امتدت جذوره إلى الأناس البسطاء الذين يعيشون على هامش السّلطة، ففي سياق حديثه عن سكان حيّ برمادية الذّين لا يزالون ينتظرون ترحيلهم بالرّغم من ترحيل العمارات المحادية لهم، يبيّن التّهميش الذي تقوم به السلطات اتجاه أناس بسطاء يقول:" **لم يتبق في ربوة المدينة الا عمارة واحدة رمادية اللون لا**

زال سكانها ينتظرون يوم ترحيلهم منها الى حي برمادية يريدون ان تكون فرحتهم قبل حلول الصيف الجهنمي" مستحضرا في الان نفسه صوتا آخر هو صوت والده " **عمارة للمنفيين في مشروع مخدوع**" (15)

يضيف قائلا: "**عمارة منهكة بهموم سكانها الحالمين بحياة كريمة في شقق آمنة نظيفة الحركة الدائبة الصاخبة حولها مدمرة للأعصاب، ضجيج مركبات طريق سيدي امحمد بن عودة، وصياح تجار سوق الخضر وزبائنهم، ومركبات صوت الباعة الجائلين بمركباتهم التويوطا المستوردة.**" (16)

عمل البطل على تصوير المعاناة التي يعيشها سكّان عمارته وانتظارهم بفارغ الصّبر نبأ ترحيلهم إلى حيّ البرماديّة، ليكون بمثابة الصّوت الناقل لآهاتهم وآلامهم وتطلّعاتهم،" **فالبطل ليس مجرّد بورتريهات الشّخصيّات كما يقول آلان روب غرييه، متهكّما، بل هو معادل موضوعيّ لسؤال اللّحظة الزمنيّة بكلّ تعقيداتها، وهنا تكمن أهمّية توظيف البطل في الرّواية.**"(17)

عمد السّارد إلى تسليط الضوء على واقع الجزائريين الذين ذاقوا لوعة النّفي والابعاد والتّهميش، ليكون بمثابة كتابة لذات المنفيّ بكلّ معالمها ومعاناتها، أرّخ فيها السّارد لذات الجزائريّ الذي أرهقته سياسات المستعمر الغاشم، وأثقل كاهله ترديّ الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة للجزائر الجديدة.

اختصر محمّد مفلاح الحالة التي آلت إليها جزائر ما بعد الاستقلال في شخصيّة امحمّد شعبان وسكّان عمارته، شخصيّة تحمل هواجس ولدت من رحم النّفي والتّهميش.

لم تكن مسألة عمارة المنفيين الأمر الوحيد الذي أبدى محمد شعبان امتعاضه منه، بل ظروف العمل هي الأخرى زادت الطين بلّة، لأنّه كان على يقين أنّ الاضراب لن يكون المخرج الأمثل لفكّ مشاكل العمل أو الثّقافة أو غيرها، يقول في هذا الصّدد:" **وعمّ يضربون؟ يضربون عن الثّقافة وابتسم لنفسه، يضربون عن الفراغ وقهقه ضاحكا.**"(18)

يبدو جلّيا أنّ العمّال غير راضيين تماما عن وضعيّتهم، وظروف عملهم، إلاّ أنّ معاناة محمد شعبان كانت أعمق بكثير،" **معاناته نابعة من سوء تقدير الآخرين له وهذا ما أظهره في مواقف عدّة، مستحضرا فيها صوتا آخر يعبّر مكانه عمّا يجول في خاطره وعمّا يرغب في ايصاله للآخرين، عمّو؟ هل صرت عمّك يا ولد اللّبة؟ يا لها من كلمة موجعة، التي يناديه بها شبّان وأطفال العمارة.** (19)

صوّر المقطع السّابق الحالة النّفسيّة التي يعاني منها البطل، فسوء تقدير الآخرين له دفعه إلى الشّعور بنوع من التهميش والعزلة وعدم الانتماء، يشعر بالضّعف والاغتراب والخجل أيضا، ليقّرر أن يصبح هو الآخر منفيّا بدوره،" **تنهّد خانقا على ضعفه ثائرا على نفسه المضطربة، لا شيء تغيّر فيه لا يزال كما كان أو هكذا صار يعتقد، فهو يتصرّف كذلك الطّفل الخجول التّائه.**"(20)

لترحل عائلته فيما بعد، ويجد هو قبر جده، ليدفن والده بالقرب منه، ويذهب فيما بعد إلى مكان لم يعرفه أحد، باحثا عن راحته النّفسية ومحققا لذاته، متّخذا من الزّهدوالتعبّد والسّير على خطى الأجداد مسلكا،"**في اليوم نفسه انتشر خبر اختفاء امحمد شعبان، وتضاربت الآراء حول سلوكه الغريب، وبعد وقت قصير تحدّث النّاس عن شجاعته مرّة وعن جنونه مرّات،... لم ينصت امحمد شعبان إلى صوت قلبه المضطرب الذي ظلّ يحدّثه منذ سنوات بالسّفر في هذا الكون الفسيح. اليوم تغيّر تحرّر، وها هو يقرّر التحدّي. حان وقت السّفر الطّويل إلى الجزيرة التي سكنها أبناء العهد الجريح.**"(21)

3. التراث الشّعبيّ كتابة ذات المنفيّ والمهمّش:

عمل السّارد على تسليط الضّوء على التّراث الصّوفيّ الجزائري، التراث الصوفيّلولاية غليزان على وجه الخصوص، ذلك التّراث الذي عمل الاستعمار على طمسه وتغييبه بغية محو أيّ معلم من معالم الهويّة الجزائريّة، شأنه في ذلك شأن الجزائريين ممّن ذاقوا لوعة النّفي والابعاد والتّهميش، فإعادة احياء التّراث وتوظيفه، ليس سوى كتابة لذات المنفيّ بكلّ معالمها ومعاناتها من جهة واحياء لتراث وطن لا ينضب من جهة أخرى، أرّخ فيها السّارد لذات الجزائريّ الذي أرهقته سياسات المستعمِر الغاشم، وأثقل كاهله ترديّ الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة للجزائر

الجديدة، ومن هذا المنطلق عمد السّارد إلى استحضار الأغاني الشّعبيّة والأمثال والأقوال المأثورة، يقول في هذا الصّدد:

- **" ما جا جلّول ما جاش سلطان الأولياء**
- **ما جا جلّول بأخباره عاود عليّا." (22)**

يُظهر المقطع الآتي معرفة البطل بالأغاني الشعبيّة والشّعر الملحون، وكذا رغبته الشّديدة في التّعريف بالتراث اوالعادات والتّقاليد، تراث وطن يأبى الزّوال والاندثار، ألا وهو تراث المنفيّ والمهمّش في محاولة منه إثبات ذاته، فكانت الأقوال المأثورة التي يردّدها تظهر موسوعيّته، واهتمامه البالغ بالرّوايا والأضرحة والأولياء الصّالحين، الأمر الذي أضفى نوعا من الجماليّة على المتن الرّوائيّ، " **فالطّريقة التي يختارها الكاتب لتشكيل أحداثه وترتيبها وتحديدا علاقتها بالزّمان والمكان والشّخصيّات بغية الوصول من خلالها، إلى أقصى الغايات الجماليّة والموضوعيّة، تلزمه في كثير من الأحيان اللّجوء إلى التّراث الشّعبيّ."(23)**

يضيف قائلا من خلال مقطع للشّاعر عبد القادر بوراس عن المنفيين:" **بي ضاق المور... لوكان بكيت بطال تلقى في صهد الجمهور*** بي ضاق المور... هما عزّ المضيوم يوكدوا في اليوم المعتاد... لوكان بكيت ابطال نعرة اللّي محقور*** بي ضاق المور... يمشوا عنقيّة قبالة العدو واللّي حُسّاد... لوكان بكيت ابطال رفدوهم في بابور*** بي ضاق المور... راهم شقّ البحور دارقين وخبرهم ينعاد... راهم مسجونين في جزيرة في وسط بحور*** بي ضاق المور... جيش الرّوم معذّبهم من بكري حقّاد..."**(24)

اختزلت الأبيات الآتية كلّ صور المعاناة و الظّلم والاستبداد التي عانى منها جدّ امحمد شعبان المنفي إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة وغيره ممّن تمّ نفيهم من قبل السّلطات الفرنسيّة، فكان الشّعر الملحون خير وسيلة للتّبليغ عمد الرّوائيّ في روايته إلى توظيفه بكلّ صدق وأمانة،وهذا ما عبّر عنه احمّد مفلاح في قوله:'**نعمل دون وعي منّا على طمس مآسي الوطن، حتّى لا نبذل أيّ جهد فكريّ لمواجهة الذّات المضطربة، وآلام الذّاكرة المعطوبة، متهرّبين من تحمّل مسؤوليّتنا، أمام مصيرنا المشترك، في دولة حديثة حرّرت بالدّماء، حقّا إنّنا غافلون عن واجبنا الحضاريّ.(25)**، لذا حاول محمّد مفلاح من خلال روايته تسليط الضّوء على شخصيّة المنفي وذاته المنشطرة المضطربة، داخل المكان وخارجه، كنوع من كتابة الذات وتاريخ لتاريخ وطن بأكمله، أسيلت من أجله الكثير من الدّماء وأزهقت العديد من الأرواح.

4.خاتمة:

- حاول محمد مفلاح احياء السّياق الثّقافيّ والتّاريخيّ للمنفيّ، من خلال الكتابة عن شخصيّة المنفيّ، من خلال عرضه لسيرة جدّه المنفي محمد الكليدوني كشاهد لمعاناة المنفيين الجزائريين في كاليدونيا الجديدة، بل الأحرى معاناة شعب بأكمله، ناهيك عن عرضه لأوضاع الجزائر الجديدة وشخصيّاتها المهمّشة، تحت شعار الثورة عن المسكوت عنه.

- صحيح أنّ امحمد شعبان أثبت وجود جدّه، في حين عجز عن تحقيق ذاته، ليجد راحته التّفسيّة في البعد والعزلة عن النّاس والخلوة مع النّفس، ليختفي هو الآخر في الجزيرة المنسيّة كنوع من تحقيق الذّات واثبات الانتماء.

- احياء محمّد مفلاح لثورة تحقيق الإرادة، ثورة لا سلاح فيها، ثورة عن الظّلم والنّفي من جهة، وثورة عن المسكوت عنه من جهة أخرى، وإحياء لثقافة التّابع التي تتخذ من الكتابة وتعرية الواقع همزة وصل بين الماضي والحاضر.

- أثبث الأديب براعته ومقدرته العظيمة على الكتابة والابداع من خلال لغة بسيطة واضحة محمّلة بمخزون ثقافيّ وتاريخيّ لا ينضب.

– عمد الرّوائيّ إلى توظيف العديد من ملامح التراث الشعبيّ الجزائر من شعر وأمثال وأغان، تشير في مجملها إلى ما عاناه الشّعب الجزائريّ في ظلّ الاستعمار.

– هروب محمّد شعبان من الواقع عودة إلى الماضي وبحث عن المستقبل في ظلّ الثّقافة والتّراث الشعبيّ الذي عمل الاستعمار على طمسه وتغييبه.

5. قائمة الإحالات:

1- ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994، ص 22.
2- سكينة عبد المالك، سيدي محمد بن مالك، التاريخ المقموع والمسكوت عنه في رواية شبح الكليدوني لمحمد مفلاح، مجلة فصل الخطاب، مجلد10، عدد رقم04، ديسمبر 2021، ص6.
3- ياسين كريم، دراسات ما بعد الكولونيالية عند جماعة التابع الهندية، مجلة المدونة، المجلد 6، العدد3، ديسمبر 2019، ص 734.
4- رضوى عاشور لكل المقهورين أجنحة، الأستاذة تتكلّم، دار الشروق، ط1، مصر 2019، ص 78.
5- سليم سعدلي، مساءلة الموتى وإحياء ذاكرة المنفى، قراءة في رواية " شبح الكليدوني" لمحمد مفلاح، إحالات، العدد3، جوان2019، ص28.
6- ادوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ومقالات أخرى، تر ثائر ديب، ط1، 2004، بيروت، ص122.
7- محمد مفلاح، شبح الكليدوني، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2015، ص15.
8- الرواية ص 6.
9- الرواية ص30.
10-الرواية ص36-37.
11-الرواية ص 46.
12-ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ت. محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص 18.
13-الرواية ص43.
14-الرواية ص14.
15-الرواية ص12.
16-الرواية ص 13.
17-زهيّة طرشي، اشكاليّة البطل في الرّواية الجزائريّة دراسات في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللّغة العربيّة، تخصّص السّرديّات العربيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كليّة الآداب واللّغات قسم الآداب واللّغة العربيّة، 2019-2020، ص59.
18-محمد مفلاح، شبح الكليدوني، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2015، ص46.
19-الرّواية ص 50.
20-الرّواية، ص 7.
21- الرّواية ص 27.
22- الرواية ص42.
23- بلحيا الطّاهر، التّراث الشّعبي، في الرّواية الجزائريّة، منشورات الجاحظيّة، الجزائر ،(د.ط)، 2000، ص19.
24- الرّواية، ص.43
25-شوقي زقادة، توظيف الموروث الثّقافي الجزائريين في رواية شبح الكليدوني لمحمّد مفلاح، مجلّة العلوم الانسانيّة لجامعة أمّ البواقي، المجلّد7، العدد1، مارس، 2020، ص 574.

6. قائمة المراجع:

1. ادوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ومقالات أخرى، تر ثائر ديب، ط1، 2004، بيروت.

2. رضوى عاشور لكل المقهورين أجنحة، الأستاذة تتكلّم، دار الشروق، ط1، مصر 2019، ص 78.
3. سكينة عبد المالك، سيدي محمد بن مالك، التاريخ المقموع والمسكوت عنه في رواية شبح الكليدوني لمحمد مفلاح، مجلة فصل الخطاب، مجلد10، عدد رقم04، ديسمبر 2021.
4. سليم سعدلي، مساءلة الموتى وإحياء ذاكرة المنفى، قراءة في رواية " شبح الكليدوني" لمحمد مفلاح، إحالات، العدد3، جوان2019.
5. محمد مفلاح، شبح الكليدوني، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ط1، 2015.
6. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ت. محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987.
7. ميشال فوكو المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1994.
8. ياسين كريم، دراسات ما بعد الكولونيالية عند جماعة التابع الهندية، مجلة المدونة، المجلد 6، العدد3، ديسمبر 2019.
9. زهيّة طرشي، اشكاليّة البطل في الرّواية الجزائريّة دراسات في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللّغة العربيّة، تخصّص السّرديّات العربيّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كليّة الآداب واللّغات قسم الآداب واللّغة العربيّة، 2019-2020.
10. بلحيا الطّاهر، التّراث الشّعبي، في الرّواية الجزائريّة، منشورات الجاحظيّة، الجزائر،(د.ط)، 2000.
11. شوقي زقادة، توظيف الموروث الثّقافي الجزائريين في رواية شبح الكليدوني لمحمّد مفلاح، مجلّة العلوم الانسانيّة لجامعة أمّ البواقي، المجلّد7، العدد1، مارس، 2020.